د. حسناء أقدح د. سراب يازجي

النّثر الأندلسي

مضمون المحاضرة

- الخصائص العامّة للمناظرات.

الخصائص الأسلوبيّة العامّة للمناظرات

① عذوبة الألفاظ، وبُعدها عن الخشونة والغرابة:

❋ **وهذا يتلاءم مع ما عُرِفَ عن الأندلس من حُبٍّ للجَمال والتّأنُّق**، فهو يستمدّ مُعظم ألفاظه من الطّبيعة التي صبغت بألوانها، وبَهجَتها أغلب فنون الأدب وموضوعاته.

⇦ مثال: ما قاله (**أبو مروان الجزيري/ من القرن الرّابع الهجري**) في مناظرةٍ له عَقَدها بين (**النّرجس، والبَهار، والبنفسج**)، ويخرج إلى تفضيل بنفسج العامريّة على الرّياحين الأُخرى، **وكُتبت هذه المناظرة إلى** (**المنصور بن أبي عامر**) الذي اشتُهر بحُبّه للأزهار، ووَلَعِه بها، فيقول الجزيري على لسان البنفسج: {**وقَدْ ذهبَ البَهارُ والنّرجس في وصف محاسنهما، والفخر بمناقبهما كلَّ مَذهب، وما منهما إلّا ذو فضيلةٍ، غير أنّ فضلي عليهما أوضحُ من الشّمس التي تَعْلونا، وأعذبُ من الغَمام الذي يسقينا، مع أنّي أعطرُ منهما عِطْرًا، وأحمدُ خَبَرًا، وأكرمُ إمتاعًا شاهدًا وغائبًا، ويانِعًا وذابلًا**}.

❋ فكانت ألفاظه رقيقةً، وعباراته رشيقةً، مُنتزَعةً من بيئة الأندلس، وطبيعتها السّاحرة.

② الاقتباس من القرآن الكريم:

❋ **لجأ كُتّاب المناظرات إلى القرآن الكريم يستمدّون منه، لدَعْمِ آرائهم وحُجَجهم من دون الإشارة إلى ذلك**؛ أي: من دون أن يكتب الكاتب (**قال تعالى**)، فيأتي الاقتباس في سياق الكلام والحوار من غير تكلُّف.

⇦ مثال١: ما جاء في مناظرة (**أبي بحر صفوان بن إدريس/ من عصر الموحّدين**) التي خاطبَ فيها (**أمير الموحّدين، عبد الرّحمن بن السّلطان يوسُف بن عبد المؤمن**)، وفيها يقتبس من القرآن الكريم ضمن حوارٍ أجراهُ بين مُدنٍ الأندلس، وكلّ واحدةٍ تتباهى بما خصّها اللهُ به من فضائل، وتقول: (**أنا أحقُّ بالأمير وأَوْلى**)، فتفخرُ (**قُرطبة**) على سائر المُدن الأندلسيّة، وتقول: {**فأَقِرّوا لي بالأُبوّة، وانقادوا لي على حُكم البنوّة، وكُفّوا عن تَباريكُم**، "**ذلكم خيرٌ لكم عند باريكُم**[١]"}.

⇦ مثال٢: وقد كتبَ (**ابنُ بُرد الأصغر/ من عصر ملوك الطّوائف**) مناظرةً أجراها بين السّيف والقلم، فيقول على لسان القلم مُبرزًا أهمّيّته، ومكانته: {**خيرُ الأقوالِ الحقُّ، وأحمدُ السّجايا الصّدقُ، والأفضلُ مَنْ فضّلهُ اللهُ عزَّ وجلَّ في تنزيله، مُقْسِمًا به لرسوله، فقال: "ن، والقلم وما يسطرون[٢]"، وقال: "اقرأ وربُّكَ الأكرم، الذي علَّمَ بالقلم[٣]"، فجَلَّ من مُقْسِم، وعَزَّ من قَسَم**}.

❋ فالكاتب يختار من القرآن الكريم ما يناسب أفكاره، مُدعّمًا آراءه وأقواله، وتكاد لا تخلو مناظرةٌ من ذلك في المشرق والأندلس على حدٍّ سواء.

③ تضمين الأمثال والحِكَم ضمن الحوار:

❋ وذلك ضمن الحوار الذي يُجريه الكاتب في المناظرة ببراعةٍ فائقةٍ، **للاستشهاد والاستدلال، وإظهار المقدرة** في اقتباس هذه الأقوال، **وإيرادها في سياق الكلام من غير تكلُّف**، ويحاول الكاتب من خلال ذلك أيضًا **إبراز مخزونه الثّقافي، وغزارة عِلمه**، ومن أمثلة ذلك:

⇦ مثال١: قول (**ابن بُرد الأصغر/ من عصر ملوك الطّوائف**) على لسان السّيف والقلم في مناظرةٍ أجراها بينهما: {**فقال القلم: مُخاطبًا السّيف: "مَنْ ساءَ سَمْعًا ساءَ إجابةً"، ولولا جلاءُ الصّياقلِ صدأَكَ لَأَسْرَعْتَ ذهابًا، وعُدْتَ مع التُّراب تُرابًا،... فقال السّيف: "جَعْجَعةُ رَحًى لا يتبعها طِحْنٌ"، وجَلْجَلةُ رعدٍ لا يليها مُزْنٌ، فقال القلم: "إنْ كنتَ ريحًا فقد لاقيتَ إعصارًا"**}.

⇦ مثال٢: أمّا (**أبو بحر صفوان بن إدريس/ من عصر الموحّدين**) فيُجري مناظرةً بين خمس مُدنٍ أندلسيّةٍ، ويُنهي هذه المناظرة بقول (**تُدْمير**) إذْ جعلها تُخاطب (**بَلَنْسية**) في استنكارٍ وتهكُّمٍ قائلةً: {"**عِشْ رَجَبًا تَرَ عَجَبًا**"،... **ما الذي يُجْديكِ الرَّوْضُ والزّهرُ؟ أمْ ما يفيدُكِ الجدولُ والنّهرُ؟ "وهل يُصلحُ العطّارُ ما أفسدَ الدّهرُ؟**"}.

---

[١] اقتباس من سورة البقرة.
[٢] اقتباس من سورة القلم.
[٣] اقتباس من سورة العلق.

❋ وهـذا مثـلٌ يُضـرَبُ لِمَـن أدركـهُ الكِبَر، وغيَّرَ محاسـنه، فيُحـاول أن يُعيـد إلى وجهـهِ نَضَـارتهُ بالأصـباغ وألـوان المساحيق، بُغيةَ التّحسين، ولكنْ دون جدوى.

❋ وتمتاز هذه الأمثال بأنّها:

تَرِدُ في سياق الكلام.	**تتخلّلها العِظَة التي يُقدّمها الكاتب بالحوار والجَدل.**
تمتاز بالإيجاز.	**تمتاز بقوّة التّمثيل.**
تدلّ على سَعة اطّلاع الكاتب.	**تدلّ على وفرة مخزونه الثّقافي.**

④ الإكثار من صيغ الدّعاء:

❋ **وتَرِدُ غالبًا في بداية المناظرة، وفي نهايتها.**

⇦ مثال: استهلّ (**أبو بحر صفوان بن إدريس/ من عصر الموحّدين**) مناظرته بين المُدن الأندلسيّة بدعاءٍ مسجوعٍ للأمير (**عبد الرّحمن بن السّلطان يوسُف بن عبد المؤمن بن علي**)، يقول: {**مولايَ، أمْتَعَ اللهُ ببقائكَ الزّمانَ وأبناءَه، كما ضمَّ على حُبّكَ أحْناءهُم وأحْناءَه، وأوْصلَ لكَ ما شئتَ من المَنِّ والأمان، كما نَظَمَ قلائدَ فَخْرِكَ على لَبّةِ الدّهر نَظْمَ الجُمان. ألْبَسْتَ الرّعيّةَ بُرودَ التّأمين، فتنافستْ فيكَ من نفيسٍ ثمين**}.

❋ ويختم مناظرته هذه بالدّعاء للأمير بالتّوفيق، والتّأييد، والسّداد، ويقول في نهايتها على طريقة الرّسائل: {**ثمَّ السّلامُ الذي يتأنّقُ عَبَقًا ونَشْرًا ورحمةُ الله وبركاته**}.

❁ **هذه الخصائص، أو السّمات للحفظ كما هي.**

❁ **نحفظ مثالين من عصرين مختلفين على كل خصيصة، كما وردَ في المحاضرة، ولكنْ في الخصائص التي أوردت الدكتورة فيها مثالًا واحدًا فنكتفي به.**

❁ **نعود إلى التّذكير بأنّه في الإجابة عن المناظرات في الامتحان نذكر الاقتباس من القرآن الكريم، والأمثال ضمن سياق المثال كاملًا، ولا نذكر الآية الكريمة، أو المَثَل مُنفردين، ونضع الاقتباس أو المثل بين علامَتَيْ تنصيص للدّلالة على أنّ الطّالب يعرف أنّ هذا هو موضع الاقتباس، أو المثل.**

❁ **في الأمثلة على الخصائص الأسلوبيّة اذكروا عصر الأديب صاحب القول الذي جاء في المثال، كما فعلنا في المحاضرة.**

❁ **طريقة الإجابة عن سؤال الخصائص الأسلوبيّة لها علامة، فيجب أن تتحدّثوا عن الخصيصة بسَطر، ثمّ يجب أن تكتبوا مقدّمة عن المثال، ثمّ المثال مع اسم الأديب وعصره، كما فعلنا في المحاضرة.**

المحاضرة السابعة

تتمة الخصائص الأسلوبيّة العامّة للمناظرات

⑤ الجمع بين الشّعر والنّثر في مناظرةٍ واحدة:

❋ **وهذا الشِّعر قد يكون:**

✌: <u>من نظم الأديب:</u>

⇦ مثال: (**فابن بُرد الأصغر/ من عصر ملوك الطّوائف**) في مناظرته التي أجراها بين السّيف والقلم يختمها بقصيدة مدحٍ لمُجاهد العامري، ويدعو فيها إلى التّسوية بين الجُنْد والكُتّاب، فيقول:

قَــدْ آنَ للسّــيفِ ألّا يَفْضُــلَ القَلَمــا ... مُــذْ سُــخِّرا لِفتًى حــازَ العُلــى بهمــا

راحــا بِكَــفِّ أبــي الجيشِ التــي خُلِقَــتْ ... غَمامــةً كــلّ حــينٍ تُمطــرُ النِّعَمــا

لَــوْلا طِلابــي غريــبَ المــدحِ فيــكَ لَمــا ... وصــفتُ قبْــلَ عُــلاكَ السّــيفَ والقَلَمــا

✌: <u>أو أن يستشهد من أشعار الآخرين:</u>

⇦ مثال: **في مناظرة ابن بُرد الأصغر التي كتبها إلى أبي الوليد بن جَهْوَر، أمير قرطبة**، يعقد حوارًا بين الأزهار مُقدّمًا فيها الوردَ على سائر الرّياحين، **وقد ضمّنَ مناظرته بيتًا من شِعر الخنساء**، يقول: {**يقول البَهارُ مُعلنًا الولاء والطّاعة للورد: لا تنظُرنَّ إلى غضارة نَبْتي، ونَضارة ورقي، وانْظُرْ إليَّ وقد صرتُ حَدَقةً باهتةً تُشير إليه، وعينًا شاخصةً تندى بكاءً عليه،**

"ولَــــوْلا كثــــرةُ البــــاكينَ حَــــوْلي ... علــــى إخــــوانهم لَقَتلــــتُ نَفْســــي"

✌: <u>أو أن يحلّ البيت الشّعري:</u>

⇦ مثال: وأحيانًا يلجأ الكاتب إلى نثر بيتٍ شِعري ضمن مناظرته، من ذلك ما قاله (**أبو بحر صفوان بن إدريس/ من عصر الموحّدين**) حين اعتمد على حلّ أبياتٍ من الشِّعر في المناظرة التي وجّهها إلى الأمير (**عبد الرحمن بن يوسُف بن عبد المؤمن**)، وجاء في مقدّمتها: {**ومَنْ طَوى حُسْنَ نيّةٍ ختمَ اللهُ له بالجميل، ومَنْ قدَّمَ صالحًا فلا بُدّ أن يوازيه، "ومَنْ يفعل الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازيه"**}.

❋ **وقد أخذ الشّطر الأوّل من بيت الحُطيئة، وأوردهُ نثرًا في مناظرته**. يقول الحطيئة:

مَــنْ يفعــل الخيــرَ لا يَعْــدَمْ جَوازيــه ... لا يــذهبُ العُــرْفُ بــين الله والنّــاسِ

❋ **وقد نثرَ هذا الشّعر للاستشهاد، والاستدلال، ودعم الفكرة التي يريدها.**

⑥ الاستعانة ببعض أنواع البديع:

❋ **كالسّجْع، والجِناس، والطّباق، وإن كان السّجْع هو الغالب، وإنّ إكثارهم من ألوان البديع يُمثّل لونًا ثقافيًّا طريفًا يتراءى فيه التّرف الذّهني، والتّأنُّق اللّفظي الممتع، وقد استخدموها باعتدال من دون تكلّفٍ وإسراف**، فتدفّقت في كتاباتهم بسهولةٍ وانسياب، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

⇦ مثال١: يرى (**ابنُ الخطيب/ من عصر ملوك بني الأحمر**) في بداية مناظرته بين (**مالقة الأندلسيّة وسَلا المغربيّة**) أنّه لا تجوز المقارنة بين مدينتين غير متماثلتين، وهو إنّما فعل ذلك ردًّا على من طلب إليه إجراء هذه المفاضلة، يقول: {**على أنّ التّفضُّلَ يقع بين ما تَشابَهَ وتَقارَب، أو تشاكَلَ وتَناسَب، وإلّا فمتى يقع التّفضيل بين النّاس والنّسناس، والمَلَك والخنّاس، وقِرْد الجبال وظَبْي الكِناس**}.

❋ **وأسلوبه يتميّز بسهولة الألفاظ، وحُسْن اختيارها، والتزام السّجْع، والاستعانة ببعض أنواع البديع** الأُخرى، كالجناس والطّباق، وعلى الإجمال **فأسلوبه شديد الشّبه بأسلوب القاضي الفاضل.**

⇦ مثال٢: ونرى (**أبا بحر صفوان بن إدريس/ من عصر الموحّدين**) يستهلّ مناظرته بين المدن الأندلسيّة بدعاءٍ مسجوعٍ للأمير الموحّدي، فيقول: {**مولاي، أمْتعَ اللهُ ببقائكَ الزّمانَ وأبناءَه، كما ضمَّ على حُبِّكَ أحْناءهُم وأحْناءَه، وأوصلَ لكَ ما شئتَ من المَنِّ والأمان، كما نَظَمَ قلائدَ فَخْرِكَ على لَبّةِ الدّهرِ نَظْمَ الجُمان، ألْبَسْتَ الرّعيّةَ بُرودَ التّأمين، فتنافست فيكَ من نفيسٍ ثمين**}.

❋ ولمّا كان صاحب هذه المناظرة من كُتّاب عصر الموحّدين، فإنّها تُمثّل حالة النّثر الأندلسي في ذلك العصر الذي غلبَ على الكُتّاب فيه طريقة القاضي الفاضل بكلّ سِماتها وخصائصها.

⑦ تجسيم المعاني عن طريق الاستعارة واستخدام التّشبيه:

❋ **فالتّشبيه والاستعارة من أكثر أساليب البيان دلالةً على عقل الأديب، وقُدرته على الخلْق والإبداع**، وكثيرًا ما وردت التّشابيه، والاستعارات، والكنايات في الحوار الذي قامت عليه المناظرات، بما فيه من إمتاعٍ، وجمالٍ، وتأثير، وبهذا **يبرز التّشخيص بوضوح في مُعظم المناظرات الأندلسيّة التي اعتمدت على حوارٍ مُتخيَّل بين شيئين أو أكثر، من خلال إضفاء صفات البشر على الأطراف المُتناظرة**، لذلك سعى الكاتب إلى التّشخيص والخيال، فأنطقَ الأزهار، وأنطقَ المُدن والقصور، **فجاءت هذه المناظرات مُفعمةً بالحياة والحركة، وعبّرتْ عن ميول الكاتب وعواطفه.**

⇦ مثال١: (**فابنُ بُرد الأصغر/ من عصر ملوك الطّوائف**) في مناظرته بين السّيف والقلم يتكلّم مُخاطبًا السّيف، فيقول: {**إنْ كنتَ ريحًا فقد لاقيتَ إعصارًا**}، ويقول مفتخرًا: {**لقد أخذتُ الفضلَ برُمَّتِه، وقُدْتُ الفَخْرَ بأزِمَّتِه**}.

⇦ مثال٢: وفي مناظرةٍ أُخرى يُجري (**ابنُ بُرد الأصغر**) حوارًا بين الأزهار ينتهي بإعلان الطّاعة والولاء للورد، فهو يستحقّ الرّياسة والزّعامة عليها جميعًا، فالـ(**خِيريّ**) من شدّة إجلالهِ للوردَ يكتم أنفاسه، ولا يستطيع أن يتنفّس نهارًا، يقول: {**والذي أعطاهُ الفضلَ دوني، ومَدَّ له بالبَيْعة يَميني، ما اجترأتُ قطُّ إجلالًا له، واستحياءً منه، على أن أتنفّسَ نهارًا**}.

❋ **كما لاحظنا**: تتلاحق التّشبيهات ضمن الحوار، **وقد حملت رموزًا شفّافةً توحي بهدف الكاتب من المناظرة، وهي تعتمد الحُجّة والمنطق، والدّليل المُقنع، وقد أضفوا على هذه المناظرات عنصر التّشخيص، وخلعوا على موصوفاتهم الحيويّة والحركة**، ولا سيّما في المناظرات التي تناولت وصف المدن والقصور، والمفاضلة بينها، والمناظرات التي وصفت الأزهار والرّياحين في تفاضلها وتفاخرها.

❋ **كما استعانوا بكثيرٍ من مظاهر الطّبيعة في مناظراتهم، فشغف الأندلسيّين بالطّبيعة مَنَحهم خيالًا وجمالًا، وتشابيهَ حلوة، فكانت الرّقّة والعذوبة ميزة أشعارهم**، والفضل في ذلك للأندلس، وما لربوعها من تأثيرٍ في أنفسهم.

❀ **بهذا نكون قد أنهينا الخصائص العامّة للمناظرات، وجميعها للحفظ مع الأمثلة.**

❀ **يمكنكم أن تختاروا أمثلة أُخرى ، على أن تكون من عصرين مختلفين.**

❀ **في السّؤال عن المناظرة من حيث المضمون والأسلوب، إذا كان السّؤال شاملًا للمضمون والأسلوب نذكر الأمثلة الموجودة في المناظرة ضمن المضمون فقط، فلا حاجة إلى أن تُعيدوها في الأسلوب (السّمات الفنّيّة)، أمّا إذا كان السّؤال عن الأسلوب فقط فعليكم أن تذكروا السّمات الفنّيّة للمناظرة مع مثال لكل سِمة، وهنا لا نتحدث عن المضمون.**